أحاديث إصلاح القلوب

(٤٣)

محبة النبي ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١). متَّفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(٢). رواه البخاريُّ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي،**

---

(١) رواه البخاريُّ (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) رواه البخاريُّ (١٤).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الآنَ يَا عُمَرُ»[(١)]. رواه البخاريُّ.

إنَّ محبَّة النَّبِيِّ ﷺ من أعظم الطَّاعات، وأجلِّ القربات، وهي من أعمال القلوب الَّتِي فرضها الله على عباده، فهو سيِّد ولد آدم وإمام الورى وقدوة عباد الله والدَّاعي إلى صراطه المستقيم، المبعوث رحمة للعالمين، ومحجَّة للسَّالكين، وحجَّة على الخلائق أجمعين، افترض على العباد محبَّته وأوجبها عليهم، فمحبَّته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من محبَّة الله، وطاعته ﷺ من طاعة الله، ولقد تكاثرت الدَّلائل في الكتاب والسُّنَّة على فرضيَّة محبَّته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ووجوبها وبيان ما يترتَّب عليها من الآثار المباركة والعوائد الحميدة في الدُّنيا والآخرة، وثمَّت سمات وعلامات تدلُّ على صدقها، كلَّما عظم نصيب العبد وحظُّه منها عظم نصيبه وحظُّه من هذه المحبَّة، **ولعلَّ جماع هذه السِّمات ما يلي:**

الأولى: اتِّباع سُنَّته ﷺ والتَّمسُّك بهديه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «هذه الآية الكريمة حاكمة على مَن ادَّعى محبَّة الله، وليس هو على الطَّريقة المحمَّديَّة فإنَّه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتَّى يتبع الشَّرع المحمَّديَّ والدِّين النَّبويَّ في جميع أقواله

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٣٢).

وأفعاله وأحواله، كما ثبت في الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١). ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبَّتكم إيَّاه، وهو محبَّته إيَّاكم، وهو أعظم من الأوَّل»(٢).

وشواهد ضرورة الاتِّباع وأهمِّيَّة الاتِّساء على صدق المحبَّة كثيرة... فعن عبد الرَّحمن بن الحارث عن أبي قُرَادٍ السُّلميِّ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ فدعا بطهور غمس يده فيه ثمَّ توضَّأ، فتتبَّعناه فحسوناه، فقال ﷺ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟**» قُلْنَا: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ. قال: «**فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ يُحِبَّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَحْسِنُوا جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكُمْ**»(٣). رواه الطَّبرانِيُّ.

الثَّانية: الإكثار من ذكره ومحبَّةُ رؤيته. قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبد كلَّما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبِّه تضاعف حبُّه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه.

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٢).

(٣) رواه الطَّبرانِيُّ في الأوسط (٦٥١٧)، وقال الألبانِيُّ: «حسن لغيره»، كما في صحيح التَّرغيب والتَّرهيب (٢٩٢٨).

وإذا أعرض عن ذكره وإخطاره وإخطار محاسنه بقلبه نقص حبُّه من قلبه، ولا شيءٌ أقرَّ لعين المحِبِّ من رؤية محبوبه، ولا أقرَّ لقلبه من ذكره وإخطار محاسنه، إذا قوي هذا في قلبه جرى لسانُه بمدحه والثَّناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادةُ ذلك ونقصانُه بحسب زيادة الحبِّ ونقصانه في قلبه»[(١)]. ومن شواهد ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»[(٢)].وذكرُه عليه الصَّلاة والسَّلام يكون بذكر مناقبه وشمائله الكريمة وبيان سننه وآثاره العظيمة وبالإكثار من الصَّلاة والسَّلام عليه. ومحبَّةُ رؤيته ﷺ ثمرتُها عزم صادق وجدٌّ واجتهاد وتأسٍّ واقتداء بهديه القويم، يكسب العبد رؤيته ومرافقته في الجنان.

الثَّالثة: تعلُّم القرآن الكريم والعملُ به والتَّأدُّبُ بآدابه. روى البيهقيُّ في كتابه الآداب عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «لا يَسأل أحد عن نفسه إلَّا القرآن، فإن كان يحبُّ القرآن فهو يحبُّ الله ورسوله»[(٣)]. وحبُّ القرآن وتلاوته وتدبُّره هو أعظم أبواب الهداية، فإنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أنزل كتابه

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيِّم (ص٥٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٢).

(٣) رواه ابن المبارك في الزُّهد والرَّقائق (١٠٩٧)، والطَّبرانِيُّ في الكبير (٨٦٥٧).

المبين على عباده هدى ورحمة وضياءً ونورًا وبشرى وذكرى للذَّاكرين، وجعله مباركًا وهدى للعالمين، يهدي للَّتِي هي أقوم، وصرَّف فيه من الآيات والوعيد لعلَّهم يتَّقون أو يحدث لهم ذكرى، وجعل فيه شفاءً من الأسقام ولا سيَّما أسقام القلوب وأمراضها من شبهات وشهوات. وحريٌّ بكلِّ مسلم أراد لنفسه بلوغ أعلى درجات المحبِّين الصَّادقين أن يَعْظُم حظُّه من القرآن الكريم بأن يتلوه حقَّ تلاوته بتدبُّر آياته والتَّفكُّر والتَّعقُّل لمعانيه، وبالعمل بما يقتضيه.

الرَّابعة: محبَّةُ مَنْ أحبَّ وبُغض مَنْ أبغض. وهذا أوثق عرى الإيمان كما صحَّ عنه الحديث بذلك عليه الصَّلاة والسَّلام، وذلك بمحبَّة ما أحبَّ من الأعمال والخصال والآداب ومحبَّة مَنْ أحبَّ من الأشخاص، وبغض ما أبغض من الأعمال والخصال والآداب، وبغض مَنْ أبغض من الأشخاص، ولا يكون صادقًا في حبِّه مَنْ يحبُّ ما يبغض ويبغض ما يحبُّ، وشواهد هذا ودلائله كثيرة: قال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي**»[(١)]. رواه الحاكم عن سلمان. وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي**

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٦٤٨)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٥٩٦٣).

وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»[(١)]. يعني: الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. رواه أحمد عن أبي هريرة. وقال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ**»[(٢)]. رواه مسلم عن فاطمة بنت قيس. وقال ﷺ: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**»[(٣)]. رواه البخاريُّ ومسلم عن أنس بن مالك. فحبُّ الصَّحابة وآل بيت النَّبيِّ ﷺ ومَن اتبعهم بإحسان من أهل العلم والفضل وأهل العبادة والزُّهد وأهل البذل والجود وأهل المعروف والإحسان كلُّ ذلك من حبِّ مَن أحبَّ، وكذلك حبُّ الأعمال الفاضلة والآداب الكاملة والمعاملة الحسنة كلُّ ذلك من حبِّ ما أحبَّ، ومن عظيم الدَّعوات المأثورة عنه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ**»[(٤)].

الخامسة: الحذر من الغُلُوِّ فيه ورفعه فوق منزلته الَّتِي أنزله الله إيَّاها. ومَن خفي عليه هذا الأصل زلَّت قدمُه بالغُلُوِّ في شخصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بدعوى إظهار محبَّته، وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ من ذلك أشدَّ التَّحذير في أحاديث

---

(١) رواه أحمد (٧٨٧٦)، وصحَّحه الألبانيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٢٨٩٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٢).

(٣) رواه البخاريُّ (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٤) رواه التِّرمذيُّ (٣٤٩٠).

كثيرة. فعن يحيى بن سعيد قال: كنَّا عند عليِّ بن الحسين فجاء قوم من الكوفيِّين، فقال عليٌّ: يا أهل العراق أحبُّونا حبَّ الإسلام، سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ قَدْرِي، فَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا**»(١). وليتأمَّل قوله: «**أَحِبُّونَا حُبَّ الإِسْلَامِ**» إذ هو الحبُّ النَّافع المقبول، وأمَّا حبُّ الغلاة فليس هو حبُّ الإسلام الَّذِي أمرنا به في القرآن والسُّنَّة. وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا وسيِّدنا وابن سيِّدنا، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ** عَزَّوَجَلَّ»(٢). رواه النَّسائيُّ بسند جيِّد. وعن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٣). رواه البخاريُّ.

السَّادسة: الحذر من البدع والبعد عن الأهواء. والأحاديث عنه ﷺ في التَّحذير من البدع كثيرة معروفة، ولرُبَّما ظنَّ بعضُ النَّاس أنَّ الطَّريقة المثلى

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٢٥)، وصحَّحه الألبانِيُّ في السِّلسلة الصَّحيحة (٢٥٥٠).

(٢) رواه النَّسائيُّ في الكبرى (١٠٠٠٦)، وصحَّحه الألبانِيُّ في التَّعليقات الحسان (٦٢٠٧).

(٣) رواه البخاريُّ (٣٤٤٥).

لإظهار محبَّته ركوب البدع واتِّباع الأهواء وإحالة الدِّين إلى طقوس ورسوم وأعمال لا أثارة عليها من علم ولا شاهد عليه من الكتاب والسُّنَّة، يمارسونها زعمًا منهم أنَّ هذا علمُ المحبَّة وشاهدُ المودَّة ودليل الوفاء، وفي خضم غربة الدِّين وقلَّة المعرفة والدِّراية بهدي سيِّد الأنبياء والمرسلين، نشأ في أوساط بعض المسلمين أمور غريبة ومحدثات عجيبة، أراد بعضهم التَّعبير من خلالها عن محبَّته للنَّبِيِّ ﷺ، وهؤلاء وإن كان قصدهم بذلك إظهار محبَّة النَّبِيِّ ﷺ وهو قصد حسن، إلَّا أنَّ إظهار محبَّته عليه الصَّلاة والسَّلام لا تصحُّ إلَّا باتِّباعه ولزوم نهجه وترسُّم خطاه، ولهذا لم ينقل عن أحد من الصَّحابة ولا التَّابعين ولا الأئمَّة المعتبرين شيء من هذه الأمور المحدثة، بل الَّذِي نقل عنهم ذمُّ الإحداث وبيان خطورته. قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّما أنا متَّبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوِّموني»[(١)]. رواه ابن سعد في الطَّبقات. وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم»[(٢)]. رواه الدَّارميُّ. وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة»[(٣)]. وعن عثمان الأزديِّ قال: «دخلت

(١) رواه ابن سعد في الطَّبقات الكبرى (٣/ ١٦٧).

(٢) رواه الدَّارميُّ في مسنده (٢١١).

(٣) رواه المروزيُّ في السُّنَّة (ص٣٠).

على ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلت له: أوصني، فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع»[١]. رواه الدَّارميُّ. وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَن كان مستنًّا فليستنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحاب محمَّد ﷺ، كانوا خير هذه الأُمَّة، أبرَّها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلَّها تكلُّفًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ونقل دينه؛ فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمَّد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم، واللهِ وربِّ الكعبة»[٢]. رواه أبو نعيم في الحلية.

والنُّقول عنهم في هذا المعنى كثيرة. ومَن عرف حقَّ النَّبِيِّ الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام وواجب الأمَّة نحوه لم يلتفت إلى شيء من هذه المحدثات بل يلزم نهجه ويقتفي أثره، وقد أدرك تمام الإدراك الرَّعيلُ الأوَّل من هذه الأمَّة، الصَّحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم حقَّ هذا النَّبِيِّ الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام والواجب نحوه، فمَن أراد أن يقف على حقيقة هذه المحبَّة في أبهى صورها وأجمل حُللها فلينظر إلى تاريخ الصَّحابة المجيد وسيرتهم الفذَّة؛ فقد حقَّقوا أروع الصُّور وضربوا أحسن الأمثال في تحقيق هذه المحبَّة وتكميلها، ففدوه ﷺ بالآباء والأمَّهات، وعظَّموه في السُّلوك والتَّصرُّفات،

---

(١) رواه الدَّارميُّ في مسنده (١٤١).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥).

وتأدَّبوا معه في الكلام والمحادثات، ولم يتقدَّموا بين يديه في شيء من الأقوال والمعاملات، وعزَّروه ووقَّروه ونصروه في جميع الأوقات، وكان إذا تحدَّث إليهم كأنَّما على رؤوسهم الطَّير لما هم عليه من سكينة وإخبات، فكانوا أحقَّ النَّاس به، وأولاهم بمرافقته، وأهداهم سبيلًا في اتِّباعه ولزوم نهجه. والموفَّق مَن اتَّبع خطاهم ولزم نهجهم وسلك سبيلهم، فهم أهدى أمَّة محمَّد ﷺ سبيلًا، وأقومهم قيلًا، وأحسنهم طريقًا، ألحقنا الله أجمعين بهم، ورزقنا حسن متابعتهم وسلوك سبيلهم، وجعلنا من عباده المتَّقين.

ونسأله سبحانه أن يجعلنا من المتَّبعين له المؤمنين به، الصَّادقين في محبَّته، وأن يحيينا على سُنَّته ويتوفَّانا عليها، وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرته وتحت لوائه، وأن يمنَّ علينا بشفاعته، وأن يغفر لنا خطأنا وتقصيرنا، إنَّه سبحانه سميع الدُّعاء، وأهل الرَّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.